

إلى أين أنت زاهبة يا باكستان؟

إسلام آباد تستكشف طرقاً جديدة لرسم مسار أكثر استقلالية وانفتاحاً

تظهر العديد من المؤشرات أن باكستان تسعى بكل الوسائل الدبلوماسية المتاحة أمامها للتصالح مع التغييرات الإقليمية والدولية التي تدور من حولها، من خلال إعادة التوازن سياسياً واقتصادياً وعسكرياً. فإسلام آباد تحاول استكشاف طرق بعيدة عن فلك بكين بعقد شراكات تجارية واستثمارية مع الرياض، وفي نفس الوقت تجس نبض واشنطن قبل الدخول في تعاون معها تحت يافطة مكافحة الإرهاب.



جيمس دورسي
باحث في السياسات الدولية

لكن لا يجب أن تكون هذه النظرة متبادلة بين الطرفين، ومن المرجح أن تثير الدولة، التي يعتمد نظامها التعليمي بشكل جزئي على العلوم الشرعية وحفظ القرآن بدلاً من ترسيخ سياسة موازنة ومتفتحة في التعليم، الدهشة في واشنطن وبكين.

ولطالما اعتبرت باكستان علاقاتها مع الصين بمثابة صداقة وشراكة استراتيجية، لكنها كانت تستكشف مؤخراً طرقاً لرسم مسار أكثر استقلالية تتمثل في توثيق العلاقات التجارية والاستثمارية مع السعودية، وإقامة شراكة عسكرية مع الولايات المتحدة.

وإلى جانب ذلك، فإن هذه النظرة متبادلة بين الطرفين، ومن المرجح أن تثير الدولة، التي يعتمد نظامها التعليمي بشكل جزئي على العلوم الشرعية وحفظ القرآن بدلاً من ترسيخ سياسة موازنة ومتفتحة في التعليم، الدهشة في واشنطن وبكين.

والتفتت السعودية وباكستان على بناء المصفاة في غوادر في عام 2019 خلال زيارة ولي العهد الأمير محمد بن سلمان. وقد أشارت دراسة جدوى مموله من السعودية منذ ذلك الحين إلى أن غوادر تفتقر إلى خط الأنابيب والبنية التحتية للنقل لتبرير المصفاة. وسيتم قطع المصفاة عن كراتشي مركز إمدادات النفط في باكستان.

وفي سياق مماثل، تناقش باكستان إمكانية إنشاء قاعدة عسكرية في البلاد يمكن للقوات الأميركية من خلالها دعم الحكومة في كابول بمجرد مغادرة الأميركيين أفغانستان في سبتمبر المقبل بموجب اتفاق مع طالبان.

ويبدو أن واشنطن وإسلام آباد لم تعقدا بعد اتفاقاً بشأن الشروط التي من شأنها أن تحكم الوجود العسكري الأميركي في باكستان، لكن حقيقة أن باكستان مستعدة لقبول الفكرة لن تمر مرور الكرام في بكين.

خطر التشدد

تقع باكستان على حدود مقاطعة شينجيانغ المضطربة في الصين، وهي موطن أقلية الإيغور المسلمة، حيث يواجه هؤلاء محاولة صينية وحشية لسحق هويتهم الدينية والعرقية.

وتخشى الصين من أن باكستان، وهي واحدة من الدول القليلة التي شهدت احتجاجات ضد حملة القمع في الأيام الأولى، يمكن أن يستخدمها المسلمون الأتراك، بمن فيهم المقاتلون الذين فروا من سوريا، كنقطة انطلاق لشن هجمات على أهداف صينية في الدولة الواقعة جنوب آسيا أو في شينجيانغ نفسها.

ومن المرجح أن تتسبب فكرة عودة ظهور باكستان كإرض خصبية للمسلمين زخماً في بكين وواشنطن، حيث تنفذ باكستان إصلاحاً تعليمياً من شأنه إضفاء الطابع الإسلامي على المناهج في جميع المجالات من المدارس الابتدائية

إلى الجامعات. ويقول المنتقدون إن الدين سيشكل ما يصل إلى 30 في المئة من المنهج الدراسي.

وتتناقض أسلمة التعليم الباكستاني المتجذرة في المفاهيم الدينية المحافظة بشكل صارخ مع تحركات دول مثل السعودية والإمارات للتخلص من التركيز على التعليم الديني والتأكد من أنه أكثر تعددية. وقد نصبت الدولتان الخليجتان نفسيهما على أنهما من أنصار الأشكال المعتدلة للإسلام التي تسلط الضوء على التسامح الديني بينما تدعم الحكم الاستبدادي.

وأكد محمد بشير خان عضو البرلمان عن حزب رئيس الوزراء عمران خان الحاكم "باكستان دولة إسلامية أيديولوجية ونحن بحاجة إلى تعليم ديني. أشعر أنه حتى الآن لم يتم أسلمة سياج حول الميناء وأواخر العام الماضي عندما احتج السكان المحليون.

ومن شأن بناء المصفاة في كراتشي أن يضعف أسس الصينيين في ظهور غوادر كمركز تنافسي على قمة بحر العرب. وقد أصبحت الشكوك التي تشوب مستقبل غوادر هي أحد الأسباب التي تجعل طاجيكستان غير الساحلية، وكذلك أفغانستان، تنظر إلى الموانئ الإيرانية كبداية.

والتفتت السعودية وباكستان على بناء المصفاة في غوادر في عام 2019 خلال زيارة ولي العهد الأمير محمد بن سلمان. وقد أشارت دراسة جدوى مموله من السعودية منذ ذلك الحين إلى أن غوادر تفتقر إلى خط الأنابيب والبنية التحتية للنقل لتبرير المصفاة. وسيتم قطع المصفاة عن كراتشي مركز إمدادات النفط في باكستان.

وفي سياق مماثل، تناقش باكستان إمكانية إنشاء قاعدة عسكرية في البلاد يمكن للقوات الأميركية من خلالها دعم الحكومة في كابول بمجرد مغادرة الأميركيين أفغانستان في سبتمبر المقبل بموجب اتفاق مع طالبان.

ويبدو أن واشنطن وإسلام آباد لم تعقدا بعد اتفاقاً بشأن الشروط التي من شأنها أن تحكم الوجود العسكري الأميركي في باكستان، لكن حقيقة أن باكستان مستعدة لقبول الفكرة لن تمر مرور الكرام في بكين.

ويحذر المنتقدون من أن المنهج الدراسي لن ينتج عنه مجتمع متسامح وتعددي. وتقول الخبيرة التربوية روبينا سارغول إن "عندما تنحاز الدولة إلى طائفة واحدة أو مع تفسير فردي للدين، فإنها تفتح الأبواب أمام صراع طائفي يمكن أن يتحول إلى عنف. هناك تشدد بشأن أفكار التنوع والاندمج والتبادلية".

وتضيف "لكن، في الواقع، فإن مشروع المنهج الوطني الفردي المتحيز للجنس والطائفة والقائم على أساس طبقي، سوف يزيد من حدة الاختلافات الاجتماعية، ويقوض ديانسات وطوائف الأقليات، وينتهك مبادئ الفيدرالية".

وقد حذر السناتور السابق فرحات الله بابار كذلك من أن "المنهج الوطني الفردي يفتح الباب أمام معلمي الحوزة (الدينيين) للدخول إلى المؤسسات التعليمية السائدة". وأضاف "من المعروف أن غالبية تعليم طلاب الحوزة يرتكز على الطائفية. تخيل عواقب دخول معلمي اللاهوت المربين والمتعلمين في التربية الطائفية إلى المؤسسات التعليمية الحالية".

تأثير المعلومات في السياسة الخارجية لمصر



محمد أبو الفضل
كاتب مصري

قد نختلف أو نتفق حول الطريقة التي جرت بها المعالجة، والرضا أو الرفض لما تم تحقيقه من تقدم على المستوى التنموي، والغضب من غياب الإصلاحات السياسية، كل ذلك يمكن مناقشته باستفاضة في موضع آخر، فالأمن والهدوء والاستقرار وتجاوز الكثير من المشكلات لا يعني عدم وجودها أو أن مصر بلغت مرحلة الرفاهية.

ربما يكون التباين أقل حدة مع المشكلات الخارجية التي تعاملت معها الدولة المصرية برشادة وصبر وتمكنت من تخطي جزء معتبر من تحدياتها الإقليمية، والسبب أن أجهزة جمع المعلومات حصلت على تفاصيل جعلتها قريبة من التطورات على الأرض، بما ساعد في وضع خيارات متنوعة للتعامل مع الأزمات، وفي النهاية صبت النتيجة في صالح القاهرة وأهدافها الاستراتيجية.

دون تهميشها ووضعها في قلب مشروعات شرق المتوسط العملاقة. القى هذا التفوق بظلاله على الأزمة المتشابكة مع تركيا، وكان من الأسباب الرئيسية التي دفعتها إلى التفكير في التقارب مع مصر، أملاً من تصويب الأخطاء معها، والمعلومات أيضاً التي تملكها القاهرة جعلتها تضع شروطاً تبدو قاسية في نظر تركيا، وترفض إعادة العلاقات معها قبل تنفيذ مطالبها.

إذا تم تد الخط على استقامته يمكن تطبيق فرضية المعلومات على العلاقة مع قطر والتحسن الظاهر فيها والتعرف على المدى الذي يمكن أن تذهب إليه، حيث خسرت الدوحة بحوزتها السنوات الماضية، وفقدت جزءاً من الأدوات التي وضعتها في بؤرة الأحداث والتأثير في مجرياتها. أسهمت التقديرات التي بنتها مصر وفقاً لتوافرها لها من معلومات في التعامل مع القوى الكبرى بمرونة، وتوسيع نطاق التعاون مع عدد كبير منها وخلق مصالح مشتركة معها، الأمر الذي أفضى إلى الحفاظ على وتيرة جيدة من العلاقات مع واشنطن في عهد إدارة دونالد ترامب الجمهوري وإدارة جو بايدن الديمقراطي.

ظهرت تجليات المعلومات في ضبط القاهرة آليات تعاطيها مع القضية الفلسطينية، حتى وصلت إلى مستوى مكثف من أن تكون لاعباً أساسياً فيها لا تستطيع أي من القوى الإقليمية والدولية التقليل من دورها وتأثيرها، بل وتقيم شبكة جيدة من العلاقات مع عديد من الأطراف المتناحضة.

يبقى السؤال المحوري، لماذا لم تستفد مصر من المعلومات في أزمة سد النهضة الإثيوبي، حيث دخلت في منعطف خطير بعد نحو عشر سنوات من المفاوضات بلا طائل، وبات السد أمراً واقعاً ويتخذ البعض دليلاً على القصور المعلوماتي الذي وضع القاهرة في مازق مع ضبط الخيارات أمامها.

تتمثل الإجابة على السؤال المحير في شقين، الأول أن الأزمة الحالية لا تعود إلى قصور في المعلومات لكن في الاستفادة منها والتعقيدات التي تحيط بها والتشابكات التي تتعلق بها إقليمياً ودولياً والحسابات التي يجب مراعاتها عند اتخاذ أي قرار.

المعلومات عن السد والتحديات التي تواجهها وأهدافها الحقيقية فرضت عدم التفريط في خيار التفاوض، والتلويح بالخشونة أحياناً جاء لحفز إثيوبيا وقوى دولية لإنهاء الأزمة بطريقة راضية، ما يفسر اللجوء إلى توسيع دائرة الضغوط الخارجية، لأن قوى عدة لن تتحمل تداعيات أزمة كبيرة يمكن أن يوجدها سد النهضة في منطقة حيوية مثل القرن الأفريقي.

لا أريد الخوض في تفاصيل العمل فنياً ودرامياً فهناك الكثير من النقاد قاموا بذلك، لكن ما يهمني الإشارة إلى أن توافر المعلومات أحبط بعض المخططات والمؤامرات التي أرادت القفز على الثورة وتوجيهها بالطريقة التي تحقق أغراض أصحابها، ما جعل الدولة المصرية تستبقي بخطوة أو أكثر في إدارة الأزمات التالية على الثورة.

يبدو أن هناك خفايا وأسرار لا نعرفها عن ثورة يناير، حيث كشف العمل كما من المعلومات الجوهرة تمت صياغتها فنياً بما يعزز مصداقيتها في الواقع، ولم يؤثر التغيير في أسماء الشخصيات والإماكن على المضامين التي تعبر عنها في الحقيقة، لأن الرموز والمعاني الضمنية تكفلت بتوضيح جوانب الغموض لدى البعض.

في الحالة المصرية الراهنة التي عاشتها البلاد عقب اندلاع ثورة 30 يونيو 2013 وحتى الآن، واجهت الدولة جملة من الأزمات في الداخل ونجحت في تجاوزها بصورة أثارت تساؤلات حول قدرتها على تصحيح الأوضاع، بدءاً من تجفيف منابع الإرهاب والمتطرفين والتخلص من إزعاج الإخوان وحتى القيام بإصلاحات اقتصادية صعبة، وسد المنافذ التي يمكن التسلل منها لإحداث توترات تدفع الناس للخروج إلى الشارع.

من يملك المعلومات يمكنه تحقيق الكثير من الإنجازات، وقدمت الأجهزة المعنية بذلك توصياتها للجهات المسؤولة عن صناعة القرار لقطع الطريق على أي سيناريوهات يمكن أن تعيد شبح التدهور الذي لاح في الأفق بعد ثورتي يناير ويونيو، لذلك كان التركيز أولاً على تمكين الجبهة الداخلية والتخلص من منغصاتها وإيجاد مؤسسات قوية قادرة على التعاطي مع المشكلات.

من يملك المعلومات يمكنه تحقيق الكثير من الإنجازات، وقدمت الأجهزة المعنية بذلك توصياتها للجهات المسؤولة عن صناعة القرار لقطع الطريق على أي سيناريوهات يمكن أن تعيد شبح التدهور الذي لاح في الأفق بعد ثورتي يناير ويونيو، لذلك كان التركيز أولاً على تمكين الجبهة الداخلية والتخلص من منغصاتها وإيجاد مؤسسات قوية قادرة على التعاطي مع المشكلات.

من يملك المعلومات يمكنه تحقيق الكثير من الإنجازات، وقدمت الأجهزة المعنية بذلك توصياتها للجهات المسؤولة عن صناعة القرار لقطع الطريق على أي سيناريوهات يمكن أن تعيد شبح التدهور الذي لاح في الأفق بعد ثورتي يناير ويونيو، لذلك كان التركيز أولاً على تمكين الجبهة الداخلية والتخلص من منغصاتها وإيجاد مؤسسات قوية قادرة على التعاطي مع المشكلات.



في انتظار فتح الأبواب